

## المواكب

الخيرُ في الناس مصنوعٌ إذا جبروا

والشرُّ في الناس لا يفنى وإنْ قُبروا

وأكثرُ الناس آلاتٌ تُحركها

أصابعُ الدهرِ يوماً ثم تتكسرُ

فلا تقولنَّ هذا عالمٌ علمٌ

ولا تقولنَّ ذاك السَّيدُ الوقْرُ

فأفضلُ الناس قطعانٌ يسير بها

صوتُ الرعاةِ ومن لم يمش يندثرُ



ليس في الغابات راع	لا ولا فيها القطيعُ
فالشّتاء يمشي ولكنْ	لا يجاريه الربيعُ
خلقَ الناسُ عبداً	للذي يأبى الخضوعُ
فإذا ما هبّ يوماً	سائراً سارَ الجميعُ
أعطني الناي وغنّ	فالغنا يرعى العقول
وأنينُ الناي أبقى	من مجيدٍ وذليلٍ



وما الحياة سوى نوم تراوده

أحلام من بمرام النفس ياتمر

والسر في النفس حزن النفس يستره

فإن تولى فبالأفراح يستتر

والسر في العيش رغد العيش يحجبه

فإن أزيل تولى حجه الكدر

فإن ترفعت عن رغبر وعن كدر

جاورت ظل الذي حارت به الفكر



لا ولا فيها الهموم

لم تجيء معه السموم

ظل وهم لا يدوم

من تناياها النجوم

فالغنا يمحو المحن

بعد أن يفنى الزمن

ليس في الغابات حزن

فإذا هب نسيم

ليس حزن النفس إلا

وغيوم النفس تبدو

أعطني الناي وغن

وأني الناي يبق



وقلّ في الأرض من يرضى الحياة كما  
 تأتيه عفواً ولم يحكم به الضجرُ  
 لذاك قد حوّلوا نهر الحياة إلى  
 أكواب وهم إذا طافوا بها خدروا  
 فأناس إن شربوا سُرّوا كأنهم  
 رهن الهوى وعلى التخدير قد فطروا  
 فذا يُعريدُ إن صلى وذاك إذا  
 أثرى وذلك بالأحلام يختمرُ  
 فالأرض خمارةٌ والدهرُ صاحبُها  
 وليس يرضى بها غير الألى سكروا  
 فإن رأيت أخا صحو فقل عَجَباً!  
 هل استظل بغيم ممطر قمرُ؟



ليس في الغابات سكرٌ      من مدام أو خيالٌ

فالسواقي ليس فيها      غير إكسير الغمام

إنما التخديرُ ثديٌّ      وحليبٌ للأُنـام

فإذا شاخوا وماتوا      بلغوا سن الفطام

أعطني الناي وغنّ      فالغنا خيرُ الشراب

وأنينُ الناي يبقـى      بعد أن تنفى الهضاب



والدينُ في الناس حقلٌ ليس يزرعه  
غيرُ الألى لهم في زرعهِ وطرُ  
من أمل بنعيم الخلد مبشّر  
ومن جهول يخاف النار تستعرُ  
فالقومُ لولا عقابُ البعث ما عبدوا  
رباً ولولا الثواب المرتجى كفروا  
كأنما الدين ضربٌ من متاجرهم  
إن واطبوا ربحوا أو أهملوا خسروا



ليس في الغابات دينٌ      لا ولا الكفرُ القبيحُ

فإذا البلبُلُ غنَّى      لم يقلْ هذا الصحيحُ

إنَّ دينَ الناسِ يأتي      مثلَ ظلٍّ ويروحُ

لم يَقم في الأرضِ دينٌ      بعد طه والمسيحُ

أعطني النايَ وغنِّ      فالغنا خيرُ الصلاةِ

وأنينُ النايِ يبقى      بعد أن تقنَى الحياةُ



والعدلُ في الأرض يبكي الجنّ لو سمعوا  
به ويستضحكُ الأموات لو نظروا  
فالسجنُ والموتُ للجانيّن إن صفروا  
والمجدُ والفخرُ والإثراء إن كبروا  
فسارقُ الزهر مذمومٌ ومحتقرٌ  
وسارقُ الحقل يدعى الباسلُ الخطيرُ  
وقاتلُ الجسم مقتولٌ بفعلة  
وقاتلُ الروح لا تدري به البشرُ



لا ولا فيهما العتابُ	ليس في الغابات عدلٌ
ظلمه فوق الترابُ	فإذا الصفصافُ ألقى
بدعةً ضدّ الكتابُ	لا يقولُ السرو هذي
إن رآته الشمسُ ذابُ	إن عدلَ الناسُ ثلجُ
فالفنا عدلُ القلوبُ	أعطني الناي وغنّ
بعد أن تقضى الذنوبُ	وأنينُ الناي ييقى



والحق للعزم، والأرواح إن قويت  
سادت وإن ضعفت حلت بها الغير  
ففي العرينة ريح ليس يقربه  
بنو الثعالب غاب الأسد أم حضروا  
وفي الزارازير جبن وهي طائفة  
وفي البزاة شموخ وهي تحتضر  
والعزم في الروح حق ليس ينكره  
عزم السواعد شاء الناس أم نكروا  
فإن رأيت ضعيفاً سائداً فعلى  
قوم إذا رأوا أشباههم نفروا



ليس في الغابات عزمٌ	لا ولا فيها الضعيفُ
فإذا ما الأسدُ صاحَتْ	لم تقلْ هذا المخيفُ
إنَّ عزمَ الناسِ ظلُّ	في فضا الفكرِ يطوفُ
وحقوقُ الناسِ تبالى	مثل أوراق الخريفِ
أعطني النايَ وغنِّ	فالغنا عزمُ النفوسِ
وأنينُ النايِ يبقَى	بعد أن تفتى الشمسُ



والعلمُ في الناس سبيلٌ بانٍ أولها

أما أواخرها فاندهرُ والقدرُ

وأفضلُ العلمِ حلمٌ إنَّ ظفرتَ به

وسرت ما بينَ أبناء الكرى سخروا

فإن رأيتَ أخياً الأحلام منفرداً

عن قومه وهو منبوذٌ ومحتقرُ

فهو النبيُّ وبردُ الغدِّ يحجبُهُ

عن أمةٍ برداء الأمس تاتزُرُ

وهو الغريبُ عن الدنيا وساكنها

وهو المجاهرُ لآمِ الناسُ أو عذروا

وهو الشديدُ وإنَّ أبدى ملاينةً

وهو البعيدُ تدانى الناسُ أم هجروا



ليس في الغابات علمٌ      لا ولا فيهما الجـهولُ

فإذا الأغصان مالتُ      لم تقل هذا الجليلُ

إن علمَ الناس طرأ      كضباب في الحقولُ

فإذا الشمس أطلتُ      من ورا الأفق يزولُ

أعطني النايَ وغنَّ      فالغنا خيرُ العلومُ

وأنينَ الناي يبقِي      بعد أن تطفأ النجومُ



والحرُّ في الأرض بيني من منازعه

سجناً له وهو لا يدري فيؤتسرُ

فإن تحرر من أبناء بجدته

يظلّ عبداً لمن يهوى ويفتكرُ

فهو الأريبُ ولكن في تصابه

حتى وللحق بطل بل هو البطرُ

وهو الطليقُ ولكن في تسرعه

حتى إلى أوج مجده خالداً صغرُ



ليس في الغابات حرٌّ	لا ولا العبد الذميمة
إنما الأمجادُ سَخَفٌ	وفقا قيعَ تعمومُ
فإذا ما اللوزُ ألقى	زهرةً فوقَ الهشيمِ
لم يقل هذا حقيرٌ	وأنا المولى الكريمُ
أعطني النايَ وغنِّ	فالغنا مجدٌ أثيلُ
وأنينُ النايِ أبقي	من زنيهم وجليلُ



واللطفُ في الناس أصدافٌ وإن نعمت

أضلاعها لم تكن في جوفها الدررُ

فمن خيثر له نفسان: واحدة

من العجين وأخرى ذونها الحجرُ

ومن خفيضٍ ومن مستأنثٍ خنثٍ

تكادُ تدمي ثايباً ثوبه الإبرُ

واللطفُ للنذلِ درعٌ يستجيرُ به

إن راعه وجلُّ أو هاله الخطرُ

فإن لقيت قوياً ليناً فيه

لأعين فقدت أبصارها البصرُ



ليس في الغاب لطيفاً	لينه لين الجبان
فقصون البان تعلو	في جوار السنديان
وإذا الطاووس أعطي	حلة كالأرجوان
فهو لا يدري أحسن	فيه أم فيه افتتان
أعطني الناي وغنّ	فالغنا لطيف الوديع
وأنين الناس أبقى	من ضعيف وضليع



والظرفُ في الناس تمويهٌ وأبغضُهُ

ظرفُ الألى في فنون الاقتدا مهروا

من معجبٍ بأمور وهو يجهلها

وليس فيها له نفعٌ ولا ضررُ

ومن عتي\* يرى في نفسه ملكاً

في صوتها نغمٌ في لفظها سورُ

ومن شموخ غدت مرآته فلكاً

وظالهُ قمرأ يزهو ويزدهرُ



ليس في الغاب ظريفُ	ظرفه ضعف الضئيلُ
فالضيا وهي عليلُ	ما بها سقمُ العليلُ
إن بالأنهار طعماً	مثل طعم السلسبيل
وبها هول وعزمُ	يجرفُ الصلدَ الثقيلُ
أعطني النايَ وغنَّ	فالغنا ظرفُ الظريفُ
وأنينُ النايِ أبقى	من رقيق وكثيفُ



والحبُّ في الناس أشكَّالٌ وأكثرُها

كالعشبِ في الحقل لا زهرٌ ولا ثمرٌ

وأكثرُ الحبِّ مثلُ الراحِ أيسرُه

يرضي وأكثرُه للمدمن الخطرُ

والحبُّ إن قادت الأجسامُ موكبُه

إلى فراش من الأغراض ينتحرُ

كأنه ملكٌ في الأسرِ معتقلٌ

يأبى الحياةَ وأعوانٌ له غدروا



ليس في الغابِ خليجٌ	يدعي نيلَ الفِرامِ
فإذا الثيرانُ خارتُ	لم تقلْ هذا الهيامُ
إنَّ حبَّ الناسِ داءٌ	بين لحمٍ وعظامِ
فإذا ولىَّ شبابُ	يختفي ذلك السقامُ
أعطني النايَ وغنِّ	فالغنا حبُّ صحيحِ
وأنينَ النايِ أبقي	من جميلٍ ومليحِ



فإن لقيتَ محباً هائماً كافاً

في جوعه شبع في ورده الصدرُ

والناسُ قالوا هو المجنونُ ماذا عسى

يبغي من الحب أو يرجو فيصطبرُ؟

أفي هوى تلك يستدمي محاجرهُ

وليس في تلك ما يحلو ويعتبرُ!

فقلْ همُ اليهمُ ماتوا قبلما ولدوا

ألى دروا كُنْه من يحيي وما اختبروا



ليس في الغابات عدلٌ      لا ولا فيها الرقيبُ

فإذا الغزلانُ جنتُ      إذ ترى وجهه المغيَّبُ

لا يقولُ السرُّ واهاً      إنَّ ذا شيءٍ عجيبُ

إنما العاقلُ يدعى      عندنا الأمرُ الغريبُ

أعطني النايَ وغنَّ      فالغنا خيرُ الجنونِ

وأنينُ النايِ أبقى      من حصيفٍ ورصينِ



وقلُ نسينا فخارَ الفاتحينَ وما

ننسى المجانينَ حتى يغمَرَ الغمرُ

قد كان في قلب ذي القرنين مجزرةٌ

وفي حشاشة قيس هيكَلٌ وقرُ

ففي انتصاراتِ هذا غلبةٌ خفيتُ

وفي انكساراتِ هذا الفوزُ والظفرُ

والحبُّ في الروح لا في الجسم نعرفهُ

كالخمر للوحي لا للسكر والظفرُ



ليس في الغابات ذكرٌ	غير ذكر العاشقين
فالألى سادوا ومادوا	وطغوا بالعالمين
أصبحوا مثل حروفٍ	في أسامي المجرمين
فالهوى الفضاخُ يدعى	عندنا الفتح المبين
أعطني النايَ وغنّ	وانسَ ظلمَ الأقوياء
إنما الزنبقُ كأسٌ	للندى لا للدماء



وما السعادةُ في الدنيا سوى شبح

يُرجى فإن صار جسماً ملّه البشرُ

كالنهر يركضُ نحو السهل مكتدحاً

حتى إذا جاءه يبطي ويعتكرُ

لم يسعد الناسُ إلا في تشوقهمُ

إلى المنيع فإن صاروا به فتروا

فإن لقيت سعيداً وهو منصرفٌ

عن المنيع فقل في خلقه العبرُ



ليس في الغاب رجاء	لا ولا فيه المثل
كيف يرجو الغابُ جزءاً	وعلى الكلّ حصل؟
وبما السعيُ بغاب	أملاً وهو الأمل؟
إنما العيشُ رجاء	إحدى هاتيك العلل
أعطني النايَ وغنّ	فالغنا نارٌ ونور
وأنينُ النايِ شوق	لا يدانيه الفتور



وغاية الروح طيَّ الروح قد خفيت  
فلا المظاهر تبديها ولا الصورُ  
فذا يقولُ هي الأرواحُ إن بلغتْ  
حدَّ الكمالِ تلاشتْ وانقضى الخبرُ  
كانما هي أثمارٌ إذا نضجتْ  
ومرت الريحُ يوماً عافها الشجرُ  
وإذ يقولُ هي الأجسامُ إن هجعتْ  
لم يبقَ في الروح تهويمٌ ولا سمرُ  
كانما هي ظلٌّ في الغدير إذا  
تَكَرَّ الماءُ وَلَّتْ وامحى الأثرُ  
ظلُّ الجميعِ فلا الذراتُ في جسدٍ  
تنوى ولا هي في الأرواحِ تحتضرُ  
فما طوتْ شمألٌ أذيالَ عاقلَةٍ  
إلا ومربها الشرقي فتتشرُّ



لم أجد في الغاب فرقاً      بين نفس وجسد

فألهوا ماءً تهادى      والندى ماءً ركد

والشذا زهرٌ تمادى      والثرى زهرٌ جمد

وظلالُ الحور حورٌ      ظنّ ليلاً فرقد

أعطني النايَ وغنّ      فالغنا جسمٌ وروح

وأنينُ الناي أبقى      من عبوقٍ وصبوخ



والجسمُ للروح رحمٌ تستكنُّ به

حتى البلوغ فتستعلي ويتغمرُ

فهي الجنينُ وما يومُ الحمام سوى

عهد المخاض فلا سقطٌ ولا عسرُ

لكن في الناس أشباحاً يلازمها

عقمُ القسي التي ما شدها وترُ

فهي الدخيلةُ والأرواحُ ما ولدتُ

من القفيل ولم يحبل بها المدرُ

وكم على الأرض من نبت بلا أرح

وكم علا الأفق غيمٌ ما به مطرُ



ليس في الغاب عقيمٌ      لا ولا فيها الدخيلُ

إنَّ في التمر نواةً      حفظت سرَّ النخيلِ

وبقرص الشهر رمزٌ      عن قفـير وحقولِ

إنما العاقر لفظٌ      صيغ من معنى الخمولِ

أعطني الناي وغنَّ      فالغنا جسمٌ يسيلُ

وأنينُ الناي أبقي      من مسوخ ونفولِ



والموتُ في الأرض لابن الأرض خاتمةً  
وللأثيريِّ فهو البدء والظفرُ  
فمن يعانق في أحلامه سحراً  
يبقَ ومن نامَ كلَّ الليل يندثرُ  
ومن يلزم ترباً حال يقظته  
يعانق التراب حتى تخمد الزهرُ  
فالموتُ كالبحر، من خفت عناصره  
يجتازه، وأخو الأثقال ينحدرُ



ليس في الغابات موتٌ	لا ولا فيهما القبر — وورٌ
فإذا نيسانٌ وألى	لم يمتْ معه السرورُ
إن هولَ الموتِ وهمٌ	ينشي طيُّ الصدورُ
فالذي عاش ربيعاً	كالذي عاش الدهورُ
أعطني النايَ وغنّ	فالغنا سرُّ الخلودِ
وأنينُ الناي يبقَى	بعد أن يفنى الوجودُ
أعطني النايَ وغنّ	وانسُ ما قلتُ وقاتِ
إنما النطقُ هباءٌ	فأفدني ما فعلتِ

هل تخذت الغاب مثلي      منزلاً دون القصور

فتتبع السـواقـي      وتسلقت الصخـور

هل تحممت بعـطـر      وتتشقت بنـور

وشربت الفجر خـمـراً      في كؤوس من أثير

هل جلست العـصـر مثـلي      بين جفـنـات العـنـب

والعـنـاقـيد تـدـلـت      كثرـيـات الـذـهـب

فهـي للـصـادـي عـيـون      ولـن جـاع الطـعام

وهـي شـهـد وهـي عـطـر      ولـن شـاء المـدام

هل فرشت العـشـب لـيـلاً      وتلحفت الفـضـا

زاهداً في ما سـيـأتي      ناسياً ما قد مضى

موجه في سمعك

وسكوت الليل بحر

خافق في مضجعتك

وبصدر الليل قلب

وانس داء ودواء

أعطني الناي وغن

كتبت لك بماء

إنما الناس سطور

في اجتماع وزحام

ليت شعري أي نفع

واحتجاج وخصام؟

وجدال وضجيج

وخيط العنكبوت

كلها أنفاق خلد

فهو في بطء يموت

فالذي يحيا بعجز



العيشُ في الغابِ والأيام لو نظمتُ  
في قبضتي لغدتُ في الغابِ تنتشرُ  
لكن هو الدهرُ في نفسي له أربُ  
فكلما رمتُ غاباً قام يعتذرُ  
وللتقاديرِ سبيلٌ لا تغيرها  
والناس في عجزهم عن قصدهم قصرُوا



